بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة أم القرى

مكة المكرمة

٥٠٢٣٠٦- ٢

مذكرة علم المعاني

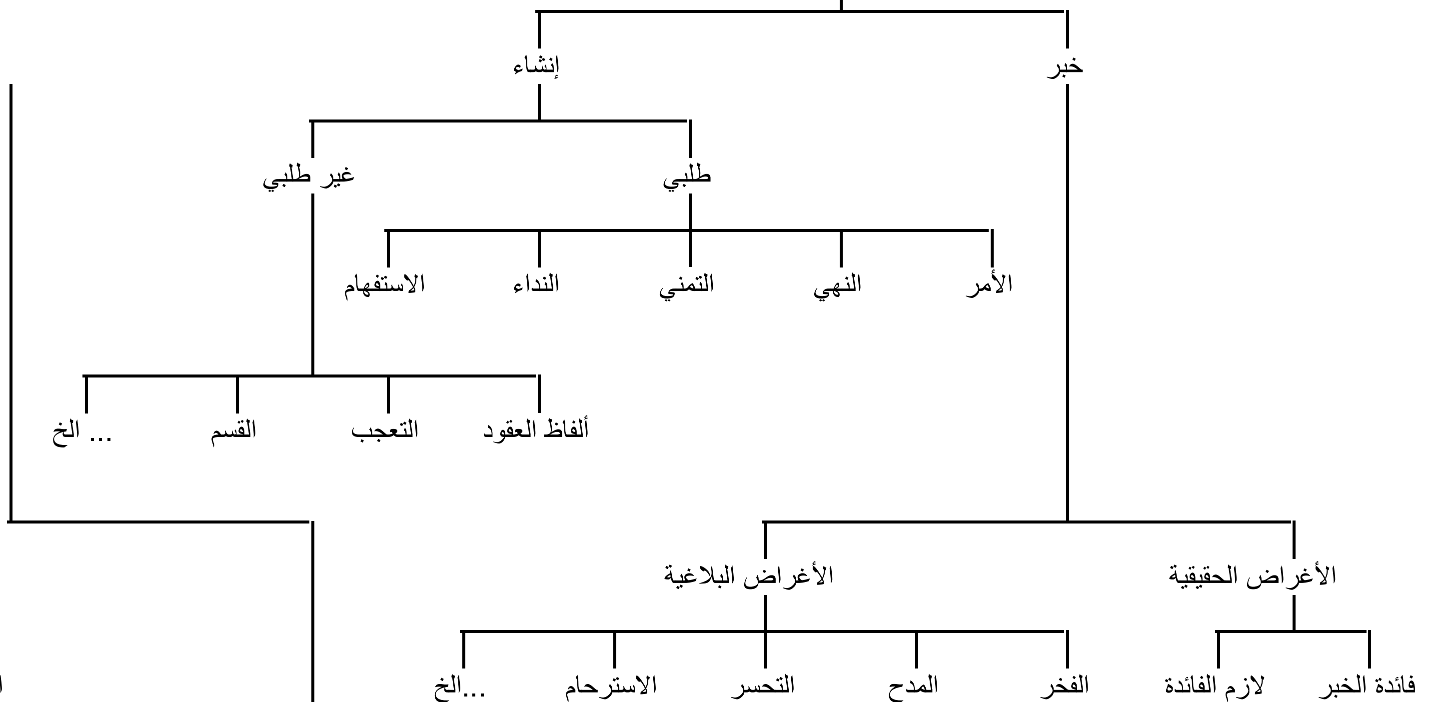
جمع من محاضرات الدكتور :

عزمي فرحات عبد البديع رضوان

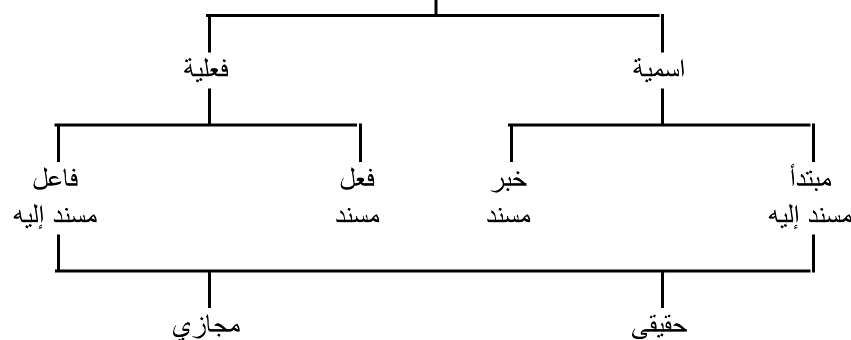
جمع وطباعة :

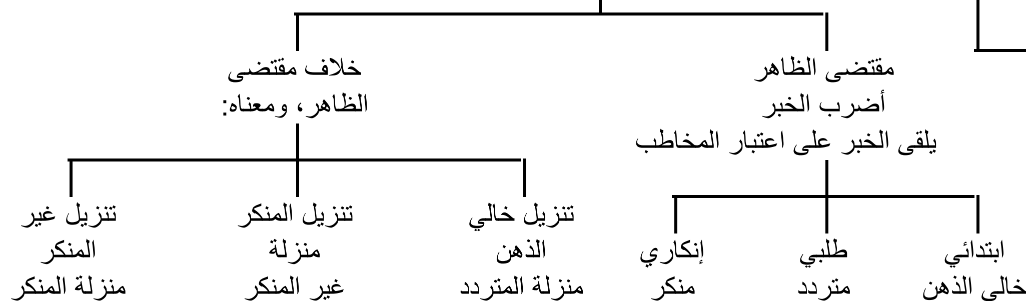
الطالب : مأمون وسيم ألطاف أحمد

١٤٣٤هـ



ما الأغراض البلاغية للخبر، وكيف تستنبطها؟





اذكر أهم أدوات التوكيد؟
كيف يلقى الخبر إلى المخاطب؟

لماذا يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؟

ثمرة علم البلاغة:

١/ أن تتذوق أسرار الكلام العربي وتُميز بين جيده ورديئه، سواء كان شعرًا أو نثرًا.

٢/ إدراك إعجاز القرآن الكريم في معانيه.

البلاغة ثلاث طبقات: طبقة عليا (القرآن الكريم، لأنه لا تناقض فيه، ولا تفاوت)، طبقة وسطى، طبقة دنيا. (يتفاوت البلاغيون في هاتين الطبقتين).

يتكون **علم البلاغة من ثلاثة علوم**: علم البيان، علم البديع، علم المعاني.

والذي سندرسه سويًا هذا الفصل هو: علم المعاني، وهو يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

تعريف علم المعاني: علم يعرف به "أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال".

إذا تأملت كلام الناس وجدت أن مقامات الكلام مختلفة بين إيجاز وإطناب وتقديم وتأخير، وحذف وإثبات، وأحوال المتكلم مختلفة بين خوف وحب وحزن وفخر واستعطاف، والمخاطب له حال مختلف يراعيها المتكلم فهو يتفاوت في المكانة والمنزلة، ولا يخاطب العالم بخطاب الجاهل، ولا يخاطب الكبير بخطاب الصغير، ولا يخاطب المرأة خطاب الرجل، ولا يخاطب الذكر بخطاب الأنثى، ولا يخاطب المسؤول بخطاب العامي، ولكل مقام مقال، فلا يحبذ الإطناب في مقام الإيجاز، والإيجاز في مقام الإطناب، ولابد أن يكون الكلام مناسبا لكل مقام وموافقًا لكل حال من أحوال المخاطب وأن يكون الكلام مقسمًا على أقدار المستمعين.

أي علم المعاني: يدرس ما يتعلق بالجملة العربية وأحوالها وطريقة تركيبها.

علم المعاني يشترك مع علم النحو: أما علم النحو يتعلق بالجملة العربية في طريقة بنائها بأن تبنى بناء صحيحًا حتى تنطق الجملة نطقًا صحيحًا، أما علم المعاني فيتعلق بدراسة بلاغة الجملة،

فعلم النحو: مجرد أسلوب، ولكن ليس كل أسلوب صحيح يكون بليغًا، وعلم المعاني هو جوهر المعنى في البلاغة.

الجملة العربية كلما أحدثت في أساليبها من تغيير وكنت ترى أن المعنى واحدًا

تعريف السَّكَّاكِي لعلم المعاني: هو تتبع خواص التراكيب.
لأنه علم يدرس الجُمل، والجمل كلها ليست سواء في أداء المعاني.

وإذا تأملت الجملة العربية وجدت أن لها معنى في كل تركيب من التراكيب، وأنك إذا أحدثت في تركيبها أي تغيير لا بد أن يتبعه تغيير في المعنى، ولو كنت ترى المعنى واحدًا.

قولنا: "ضربتُ زيدًا" يختلف عن قولنا: "زيدًا ضربتُ"، فالجملة الأولى تفيد وقوع الضرب لزيد، والجملة الثانية: تفيد حصول الضرب لزيد دون غيره.

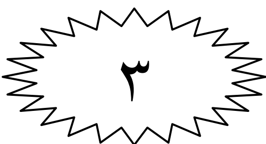
وقد اعترض على هذا التعريف من قِبل بعض العلماء، ولذلك التعريف المختار هو ما ذكرناه سابقًا.

علم المعاني وضع كل كلمة في موضعها الصحيح، مثال يبين بلاغة القرآن: سمع أعرابي قارئا يقرأ: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم" فاستغرب وقال: لا يكون هذا قرآنا؛ لمخالفة الكلام مقتضى الحال لأن المقام مقام شدة وغلظة، لا يناسبه المغفرة والرحمة، ولما قيل له أن الصحيح: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ اطمأن.

أحوال تراكيب الجُمل: التقديم والتأخير، الحذف والإثبات، الإيجاز والإطناب، متعلقات الجملة، إسناد حقيقي ومجازي.

تعريف علم المعاني المختار: علم يعرف به "أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال".

قد يكون الكلام صحيحًا من ناحية النحو، ولكن قد يرد الإشكال من ناحية عدم مطابقته لمقتضى الحال، وبالتالي يخرج عن دائرة البلاغة، فعمل البلاغة فوق وأعلى درجة من عمل النحو.
فلابد من وضع كل شيء في موضعه، ولو تأملنا إعجاز القرآن وجدنا أن كل شيء وضع في موضعه، فالموضع الذي فيه توكيد لا يمكننا أن نزيل منه ذلك، وليس هناك شيء في القرآن وضع اعتباطًا ومن دون فائدة، بل كل كلمة جاءت في مقامها الصحيح.
إياك أن تفهم أن الآيات مكررة من دون فائدة، ولو تأملت الآيات التي ورد فيها توكيد والتي لم يرد فيها توكيد وجدت أن السياق في كل منهما مختلف عن الآخر.



ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾؟

معنى واحد، ولكن تَغَيُّر السياق يدل على اختلاف المقام، وهذه هي البلاغة أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

بدراستك لعلم المعاني تحكم على أن الكلام مطابق لمقتضى الحال أو لا ، وبالتالي بعد دراستك لعلم المعاني تستطيع أن تتذوق معاني وأسرار القرآن الكريم.

والمبدع البلاغي يراعي حال المخاطب، وحال المقام، وفي بعض الأحوال يراعي المتكلم حال نفسه، وبالتالي تجد أن الكتابة التي في غاية السعادة والسرور تختلف عن الكتابة في حال عادي.

وعند القراءة لأي كتاب لابد أن يكون القارئ منتبها ، لأنه يستطيع أن يتعرف على خلفيات الكاتب من كتابته ومنهجه وقصده، فهناك من يقصد الأغراض الطيبة ، وهناك من يقصد الأغراض الدنيئة ، وهناك من يقصد الإفساد في المجتمع.

ويراعي البلاغي حال المقام فقد يكون المقام مقام حزن أو فرح أو مقام سرور أو سعادة أو تهنئة أو عزاء، ولو سوى بين مقام التهنئة والعزاء ولو قال في مقام التهنئة: كل نفس ذائقة الموت، والبقاء لله، ففيها مخالفة لمقتضى الحال.

فبدراستك لعلم المعاني تستطيع أن تتقن أمرين:

الأمر الأول: تتقن كيف تضع أنت المتكلم كل كلمة في موضعها مراعيا للمقامات، وتكون بليغًا.

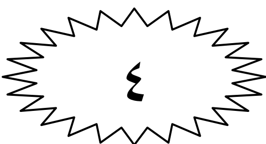
الأمر الثاني: تتقن كيف تتذوق الكلام وتفاضل بين جيده ورديئه، فأنت إذا قرأت كلاما كيف تحكم عليه أنه كان مطابقًا لمقتضى الحال أو غير مطابق، فإن كان مطابقًا حكمنا عليه بأنه بليغ، وإن لم يطابق حكمنا عليه أنه غير بليغ.

كيف تحكم على كلام مسيلمة أنه غير بليغ؟

بالأخطاء التي وردت في كلامه من عدم مطابقة كلامه لمقتضى الحال، وبالتالي تبيَّن أنه كذاب.

وإذا تأملت القرآن لوجدت أنه لا يمكن أن يكون كلام بشر، لتناسقه في معانيه ومطابقته لمقتضى الحال.

نبدأ الآن في دراسة علم المعاني، إذا أردت دراسة علم المعاني، فلابد أن تدرس أجزاء الكلام.



علم المعاني يدرس الجُمل، والجُمل كلام، و أجزاء الكلام: إما خبر وإما إنشاء.

الخبر: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته. (أي ذات الخبر، وليس ذات المخبر به)

مثل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، مسيلمة الكذاب رسول الله، محمد ناجح، ولد رسول الله في عام الفيل، الله ربنا.

الإنشاء: قول لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته.

مثل: ما أجمل السماء! ـ ما اسمك؟ ـ اكتب، يا زيد، لا تلعب.

جمل إنشاء طلبي: الأمر، النهي، النداء، التمني، الاستفهام. (يراد بها حقيقة ويراد بها مجاز)

من جمل إنشاء غير طلبي: ألفاظ العقود (بعت، اشتريت، زوجتك، أنكحتك)، التعجب، والقسم.

الفرق بين الخبر والإنشاء:

الخبر: يكون للكلام فيه نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه، فإن طابق كان صدقا وإلا فهو كذب.

الإنشاء: لا يكون فيه للكلام نسبة خارجية، فالإنشاء معناه طلب، وما دل على طلب لا يُحكم عليه لا بالصدق ولا بالكذب.

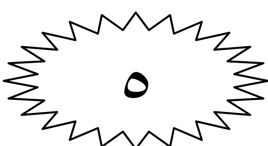
أمثلة على الخبر والإنشاء:

المثال	نوع الجملة: خبرية أو إنشائية
﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾	خبرية
﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	خبرية
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾	خبرية
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾	إنشائية
﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	إنشائية
﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾	إنشائية

علم المعاني يدرس **أحوال الإسناد** (أحوال الجملة) ومتعلقاتها، وكل جملة في العربية لا تخرج عن كونها مسندًا أو مسندًا إليه، سواء كانت خبرية أو إنشائية.

الجملة الاسمية: مبتدأ (مسند إليه)، خبر (مسند).

الجملة الفعلية: فعل (مسند)، فاعل (مسند إليه).



المفعول، والجر، والظرف الخ: متعلقات، وهناك فرق بين جملة ذُكرت فيها متعلقات، وجملة لم تذكر فيها متعلقات.

بيِّن المسند والمسند إليه في الجمل الآتية:

الجملة	المسند	المسند إليه	التوجيه
محمد مجتهد	مجتهد	محمد	أسندت الاجتهاد إلى محمد
شرب عُبيد العصير	شرب	عُبيد	أسندت شرب العصير إلى عُبيد
صلى فلان	صلى	فلان	أسندت الصلاة إلى فلان
نجح صالح	نجح	صالح	أسندت النجاح إلى صالح
أقائم زيد؟	قائم	زيد	أسندت القيام إلى زيد

للخبر معاني حقيقية ومعاني مجازية:

الجمال كله في المعني المجازية، والمعاني المجازية أبلغ من المعاني الحقيقية .

أغراض الخبر الحقيقية، الخبر يراد به أحد أمرين:

١/ فائدة الخبر: إفادة المخاطب مضمون الحكم الذي تضمنته جملة الإسناد.

٢/ لازم الفائدة: إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم.

أمثلة على أغراض الخبر الحقيقية:

الجملة	الغرض المراد من الخبر
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾	فائدة الخبر
أبوبكر أول خليفة للمسلمين	فائدة الخبر
أنت ناجح في علم المعاني.	فائدة الخبر
لقد قمت من نومك مبكرًا	لازم الفائدة
قالت السيدة خديجة: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر»	لازم الفائدة
أنت مجتهد في دراستك.	لازم الفائدة

أغراض الخبر البلاغية(المجازية):

هناك أخبار لا تدل على فائدة الخبر، ولا على لازم الفائدة، وإنما يراد بها أشياء أخرى تُفهم من سياق الكلام: كالمدح، والفخر والاستعطاف وإظهار ضعف والتحسر على ما فات والاسترحام والرثاء الخ، وهي أغراض بلاغية لا حصر لها.

أمثلة على أغراض الخبر البلاغية:

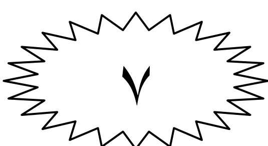
الجملة	الغرض البلاغي	التوجيه
قال المتنبي: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم	الفخر	فهو لا يريد أن يخبر المخاطب بالحكم الذي تضمنه الكلام، وإنما أراد الفخر.
قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾	إظهار الضعف	فهو لا يريد أن يخبر المخاطب بالحكم الذي تضمنه الكلام، وإنما أراد إظهار الضعف.
قال تعالى على لسان أم مريم: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾.	التحسر	فهي لا تريد أن يخبر المخاطب بالحكم الذي تضمنه الكلام، وإنما أرادت التحسر على فوات ما كانت تتمنى.
شكت امرأة إلى سيدنا عمر: قِلَّتَ الفئران في بيتها	الاستعطاف	فهي لا تريد أن يخبر المخاطب بالحكم الذي تضمنه الكلام، وإنما أرادت منه الاستعطاف.

أضرب الخبر:

أضرب حقيقية لإلقاء الخبر بالنسبة المخاطب:

قلنا: إن علم المعاني هو: مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب، ولذلك لا تجعل الخبر ضربًا واحدًا، وإنما تسوقه بسياق مناسب للمخاطب، والخبر بالنسبة للمخاطب واحد من ثلاث:

١/ ابتدائي: هو أن يكون المخاطب خالي الذهن عن الخبر، فيحسن أن تسوق إليه الخبر خاليًا من التوكيد، مثال: تقول لطفل صغير: الله فوقنا.



٢/ طلبي: هو أن يكون المخاطب شاكًّا أو مترددًا في الخبر، فيحسن أن تسوق إليه الخبر مؤكدًا بمؤكد واحد يزيل شكه وتردده. مثال: يقول لك زميلك: لعل القادم زيد، فتقول: لا إنه محمد.

٣/ إنكاري: هو أن يكون المخاطب منكرًا للخبر، فيحسن أن تسوق إليه الخبر مؤكدًا بمؤكدات حسب درجة إنكاره قوة وضعفه، تقول لمنكر وحدانية الله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

من أدوات التوكيد: قد، اللام، إنَّ، القسم.

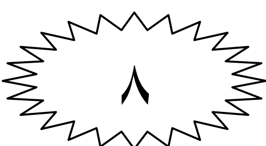
قال تعالى في المكذبين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فالمقام تكذيبي لا مقام خالي الذهن ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذه مبالغة في الإنكار، فرد عليهم الرسل: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فجمعوا بين القسم وإنِّ واللام، مع أن الخبر واحد، ولكن اختلفت الصياغة لاختلاف المقام.

الأصل مخاطبة خالي الذهن من غير توكيد، والمتردد بمؤكد واحد، والمنكر بأكثر من مؤكد، وهذا مجرد تحقيق الغرض، وخروج الكلام على مقتضى الظاهر.

أضرب بلاغية لإلقاء الخبر بالنسبة المخاطب:

هناك أضرب بلاغية لإلقاء الخبر، بها يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لاعتبارات يراها المتكلم، وهي: تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد، تنزيل المنكر منزلة غير المنكر، تنزيل غير المنكر منزلة المنكر.

ومن أمثلة ذلك:



أمثلة تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد:

الجملة	التوجيه
قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.	استخدم هذا الأسلوب لأن النفس تتطلع إلى معرفة السبب، فبين له سبب نهيه عن الخوف بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.
قال تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾	استخدم هذا الأسلوب لأن النفس تتطلع إلى معرفة السبب، فبين لهما سبب النهي عن الخوف بقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.
قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾	استخدم هذا الأسلوب لأن النفس تتطلع إلى معرفة السبب، فبين له سبب نهيه عن مخاطبته عن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بقوله: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.
قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾.	استخدم هذا الأسلوب لأن النفس تتطلع إلى معرفة السبب، فبين له سبب أمره بالدعاء لمن اعترف بذنبه وتاب بقوله: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾.
قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾	استخدم هذا الأسلوب لأن النفس تتطلع إلى معرفة السبب، فبين له سبب أمره بالتقوى بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

أمثلة تنزيل المنكر منزلة غير المنكر:

الجملة	التوجيه
تقول لمن ينكر ضرر الجهل: الجهل ضار.	استخدمت هذا الأسلوب لما رأيت إنكاره لأمر ظاهر، والحق أنه معاند، فلم يحتج إلى توكيد لأنه لو تأمل لارتدع عن إنكاره.
تقول لمن يُنكر الإسلام: الإسلام حق	استخدمت هذا الأسلوب لما رأيت منه من إنكاره لأمر ظاهر، والحق أنه معاند، فلم يحتج إلى توكيد لأنه لو تأمل لارتدع عن إنكاره.
قال تعالى في سياق من يُنكر وحدانية الله: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	استخدم هذا الأسلوب لما رأى إنكارهم لأمر ظاهر وملموس، والحق أنهم معاندون، فلم يحتج إلى توكيد لأنهم لو تأملوا الحجج لارتدعوا عن إنكارهم.
قال تعالى ردًا على من يُنكر القرآن: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.	استخدم هذا الأسلوب لما رأى إنكارهم لأمر ظاهر، والحق أنهم معاندون، فلم يحتج إلى توكيد لأنهم لو تأملوا فيه لارتدعوا عن إنكارهم، وعلموا أنه كلام الله.

أمثلة تنزيل غير المنكر منزلة المنكر:

الجملة	التوجيه
تقول لمن يضرب والده: والله إنه لوالدك.	استخدمت هذا الأسلوب لما رأيت إهانته لوالده، والحق أنه لا ينكر أنه والده، فأكد ما لا يحتاج إلى توكيد لمعنى وهو ظهور أمارات الإنكار عليه.
قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾	استخدم هذا الأسلوب لغفلتهم عن الموت وانشغالهم بأمور الدنيا، والحق أنه لا ينكر أحد هذه الحقيقية، فأكد ما لا يحتاج إلى توكيد لمعنى وهو ظهور أمارات الإنكار عليهم.
يقول المعلم لطلابه الجامعيين: إنَّ الامتحان لجِدٌّ	استخدم هذا الأسلوب لما رأى تساهلهم وعدم حرصهم على المراجعة والاستذكار، والحق أنه لم ينكر هذا أحد الطلبة، فأكد ما لا يحتاج إلى توكيد لمعنى وهو لأهمية الأمر وظهور أمارات الإنكار عليهم.
جاء شقيق عارضًا رمحه إنَّ بني عمك فيهم رماح	استخدم هذا الأسلوب جاء مستهينا بالقتال، والحق أنه يعرف قوة بنو عمه، ومع ذلك لم يستعد لقتالهم، فأكد ما لا يحتاج إلى توكيد لمعنى وهو ظهور أمارات إنكار وجود السلاح لدى بنو عمه.
قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.	استخدم هذا الأسلوب لما رأى أنه يتأثر من تكذيب الناس له، والحق أنه يعرف أنه رسول الله، فأكد ما لا يحتاج إلى توكيد لمعنى هو تسليته ﷺ.

وقد يؤكد الكلام لأهمية الخبر وخطورة الموقف وبعث الطمأنينة في النفس، ومن أمثلة ذلك:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

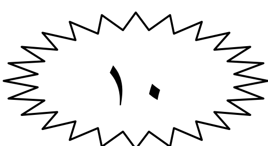
قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لبيان خطورة الموقف.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، تأكيد على أن مع كل عسر يسر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، توكيد على هذا المعنى في النفس، وتعظيم معنى التقوى في القلب.

تقول: إن العلم نور، لأهميته

قال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))، وبعثته ﷺ لم تتحصر في إتمام مكارم الأخلاق، ولكن معنى ذلك أن الخلق الحسن يمنعك من ارتكاب المعاصي.



المجاز العقلي

الجملة الخبرية تتكون من مسند ومسند إليه.

يمكنك إسناد الفعل في الجملة الفعلية إلى مسند إليه حقيقي ومجازي، فالإسناد الفعلي ينقسم إلى قسمين:

١/ إسناد حقيقي.

إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، ويسمى حقيقة عقلية.

٢/ إسناد مجازي.

إسناد الفعل وما في معناه إلى فاعله المجازي، ويسمى مجاز عقلي.

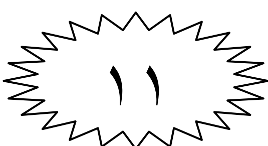
❖ المجاز لا يقابل الحقيقة، وإنما هو قسيمه، والذي يقابل الحقيقة هو الكذب.

لا يقال بالمجاز إلا إذا كان في الكلام علاقة وقرينة، علاقات الإسناد المجازي:

١/ الفعل يسند إلى الزمن فالعلاقة زمانية.
٢/ الفعل يسند إلى المكان فالعلاقة مكانية.
٣/ الفعل يسند إلى السبب فالعلاقة سببية.
٤/ الفعل يسند إلى المصدر فالعلاقة مصدرية.
٥/ الفعل يسند إلى اسم الفاعل فالعلاقة مفعولية.
٦/ الفعل يسند إلى اسم مفعول فالعلاقة فاعلية.

أمثلة على الإسناد المجازي (العقلي):

المثال	العلاقة	التوجيه
شفى الطبيب المريض.	سببية	أسندت الشفاء إلى الطبيب والطبيب لا يُشفي، والحقيقة: شفى الله المريض، والدواء سبب، ولذلك صح الإسناد إليه.
سال الوادي	مكانية	أسندت السيلان إلى الوادي، والوادي لا يسيل، والحقيقة: سال الماء في الوادي، والوادي هو مكان السيل، ولذلك صح الإسناد إليه.
قال تعالى: ﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾	مكانية	أسند الجريان إلى النهر، والنهر لا يجري، والحقيقة: أن الذي يجري هو الماء في الأنهار، والنهر هو مكان جريان الماء، ولذلك صح الإسناد إليه.
قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا﴾.	مكانية	أسند الأمن إلى الحرم، والحرم لا يأمن لأنه مكان، والحقيقة: أن الأمن يكون للناس في الحرم، ولذلك صح الإسناد إليه.
قال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾	زمانية	أسند الرضى إلى العيشة، والعيشة لا ترضى لأنها زمن، وإنما الذي يرضى هو الإنسان، ولذلك صح الإسناد إليها.



المثال	العلاقة	التوجيه
قال تعالى عن فرعون: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾	سببية	أسند الذبح إلى فرعون، وفرعون لم يباشر الذبح،وإنما كان سببا في الذبح لأمره به، ولذلك صح الإسناد إليه.
يقولون في وصف إنسان طائع: فلان ليله قائم ونهاره صائم	زمانية	أسند القيام إلى الليل، والصيام إلى النهار، ومباشرة فعل القيام والصوم ليس من الليل ولا من النهار، وإنما هو فعل الإنسان، وصح الإسناد إلى الليل؛ لأنه زمن القيام فيه، وصح إسناد الصوم إلى النهار؛ لأنه زمن الصوم فيه
بنى الملك السعودية.	سببية	أسند البناء إلى الملك، وهو لم يباشر البناء، وإنما أمر بالبناء، وصح إسناد البناء إليه لأنه كان سببًا فيه.
قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾	سببية	أسند زيادة الإيمان إلى الآيات، والآيات لا تُزيد ولا تُنقص الإيمان، ولكنها سبب في زيادة الإيمان ولذلك صح الإسناد إليه.
قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾	زمانية	أسند العصف إلى اليوم، واليوم لا يكون عاصفاً، والعواصف من عند الله تأتي طارئة ثم تزول، وصح الإسناد لأن العواصف تجري فيها.
قال تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾	زمانية	أسند الشيب إلى اليوم، واليوم لا يُشَيِّب، وصح الإسناد لأن الشيب لا يأتي إلا بعد مرور زمن.
قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾	زمانية	أسند العبس إلى اليوم، واليوم لا يكون عبوسًا، وإنما العبس يظهر على الإنسان في اليوم الشديد، ولذلك صح الإسناد إليه.
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي	مفعولية	لأنه يقصد المطعوم المكسو.
قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾	فاعلية	والوعد لا يكون مأتيا وإنما هو آت.
قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾	فاعلية	الحجاب يكون ساترا، ولا يكون مستورا

المثال	العلاقة	التوجيه
ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح	مكانية	أسند السيلان إلى الأبطح، والذي يسيل هو الدم، وصح هذا لأن أبطح هو المكان الذي سالت فيه الدماء
سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر	مصدرية	أسند الجد إلى الجد، ولم يسنده إلى القوم.
قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾	فاعلية	اليوم ليس مجموعًا، وإنما يُجمع الناس له.
أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي	زمانية	أسند الشيب والإفناء إلى مرور الأيام، وهما من قدر الله تعالى، وصح الإسناد لأنه يأتي بعد مرور الأيام.
قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.	سببية	التجارة لا تربح وإنما الربح للتاجر، والتجارة سبب في الربح، ولذلك صح الإسناد.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، الجدار ليس لها إرادة، وإنما صح إسناد الإرادة إلى الجدار لبيان شدة ميله.

قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ لا أحد يبيع الضلالة والهدى، والإسناد باعتبار الآخرة.

قال تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ الجوع والخوف لا يُلبسان، وإنما عبر عن شدة العقاب.

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، لا يمكن سؤال القرية، وإنما قالوا ذلك مبالغة لإظهار صدقهم وأنهم غير كاذبين.

س/ عرف المجاز العقلي؟

س/ استخرج من الأمثلة الآتية المجاز العقلي، وردها إلى الحقيقة، مع ذكر العلاقة؟

س/ اذكر مثالا لكل علاقة من العلاقات ؟

ما يتعلق بقواعد متعلقات الجملة

ذكرنا فيما سبق أن الجملة هي عبارة عن مسند ومسند إليه، وذكرنا مواقعهما في الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

وجميع مواضيع علم المعاني تدور حول الإسناد؛ لأنه أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام لمقتضى الحال، كما ذكرنا.

وبالتالي لا بد من معرفة أحوال هذه الجملة، أحيانا يقدم المسند على المسند إليه، وأحيانا يقدم المسند إليه على المسند، وأحيانا يكون المسند إليه نكرة، وأحيانا يكون معرفة، وأحيانا يذكر المسند إليه عَلَمًا، وأحيانًا يذكر ضميرًا، أحيانا تجد الكلام يُذكر بالعَلَم ويعبر عنه بذلك، وأحيانا يُذكر بالعلم ويعبر عنه فيما بعد بالضمير، كقولنا: قابلت محمدًا وجلستُ معه، وأحيانا يذكر المسند إليه عَلَمًا ويُكرر بنصه، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾، الأصل إذا ذكر المسند إليه اسما ظاهرًا ثم استمرت في الحديث عنه ستعبر بالضمير، لكن الكلام العربي أحيانا يخالف هذا.

فلا بدمن معرفة هذه الأحوال، وسوف نشير إلى بعضها، والجملة إذا حصل فيها تغيير سيتبعه تغيير في المعنى.

النظم والتأليف: حركة المعنى في نفس المبدع، فإذا كتبت وقدمت شيئا فإن معناه مقدم عندي، فإذا قدمت مسندًا أو مسندًا إليه قدمته لمعنى في نفسي.

القرآن الكريم معجز بلفظه وطريقة نظمه وتركيبه، لأن حركة النفس تابعة لحركة المعاني.

فأنت لا تختار كلمة معرفة إلا إذا قصدتها، وما اخترتها نكرة إلا لمعنى قصدت إليه، وما قدمت في الأسلوب وغيرت فجعلت الفاعل مقدما أو المفعول به مقدما والأصل تأخيرهما، وتقديمك لهما أو لأحدهما إنما كان لقصدك معنى هو مقدم في نفسك ولذلك قدمته في الكلام.

النظم: حركة أسلوب لمعان تجري في النفس، ولذلك تجد أن الكلام لا يسير على نمط واحد، قد تقول كلاما يسيرا بصورة نحوية قوية، ويغير في هذه الطريقة، فإذا خولفت الطريقة، فإنما خولفت لمعان تقصد.

فلا يمكن أن تكون دلالة النكرة مثل دلالة المعرفة، ولا يمكن أن تكون دلالة المقدم مثل دلالة المؤخر، يقول سيبويه: إن العرب يقدمون ما من شأنه أهم وبه أعم، بمعنى أن الأمر الذين يعنونه يقدمونه.

مثال ذلك: قتل الخارجي.

حذف الفاعل وجعل المفعول به نائبا عنه؛ فأنت لا تقول ذلك إلا إذا كان هذا الأمر يعني الناس، فالناس يعنيهم قَتْله لا مَنْ قَتَله؛ لأنه قد خرج عن النظام وسعى في الأرض فسادًا.

علم البلاغة يعتني بالكلمة، لماذا قدمت ولماذا أخرت، ولماذا نودي هنا، ولما استفهم هنا، والاستفهام هنا هل هو للإنكار أم التقرير، هل الأمر هنا على حقيقته أم أنه خرج للحث والإرشاد، وبمقامات الكلام وسياقاته يتبين هذا كله.

فلو أنك قلت لابنك: اجتهد في دروسك، وهو غير مقصر فيها، فأنت إنما تريد بذلك الحث، لا إحداث أمر جديد لم يكن موجودًا من قبل، وقد تجد في القرآن خطابات مثل هذه للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، نهي عن فعل لم يقع منه ﷺ، فهذا يطلب أن يديم على ما هوعليه.

الجملة: المسند+ المسند إليه + المتعلقات.

المتعلقات هذه تكون في الجملة الفعلية، فالجملة الفعلية دائما يكون لها متعلقات إذا كان الفعل متعديًا، وهي تبدأ بعد الفاعل من المفعول به، والظرف بنوعيه الزمان والمكان، والجار والمجرور، والمفعول لأجله، والمفعول المطلق، النعت، والحال، وسميت متعلقات لأنها متعلقة بالفعل.

المثال	المتعلقات	نوعه
ضربت ولدي يوم الجمعة	يوم الجمعة	ظرف زمان
جئت إلى الجامعة مسرعًا	مسرعا	حال
جئت حريصًا على العلم	حريصا	حال
قرأت الدرس	الدرس	مفعول به

أحيانا تقرأ كلاما وتجد أن الفعل متعدي والمفعول به محذوف، وأحيانا تجد المفعول به قدم على الفعل.

من أحوال الإسناد: **التقديم والتأخير**.

التقديم والتأخير في القرآن.

١/ إذا اجتمع الرجل والمرأة، قدم الرجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

٢/ إذا اجتمع الأعلى والأدنى، قدم الأعلى، مثل: تقديم الملك على الأمير.

٣/ إذا اجتمع الشمس والقمر، قدم الشمس، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾.

٤/ ومن استقرأ القرآن الكريم وجد أن التقديم قد يكون بالأفضل، كتقديم النبيين على الصديقين، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾.، وقد يكون بالأشرف، كتقديم موسى على هارون إلا في موضع ويأتي تفصيله، كتقديم الخيل على الحمير كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا﴾، وقد يكون بالسبق الزمني قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، وإذا ذُكر النبيون ذكروا بالترتيب الزمني، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾، قال تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقدم اليهود على النصارى، مراعاة للسبق الزمني.

٥/ إذا اجتمع الحديث عن السماوات والأرض، قدم السماوات؛ لأنها أشرف ففيها الملائكة والعرش.

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

٦/ إذا ذكر السمع والبصر، قدم السمع لأنه أوثق من النظر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.

٧/ إذا ذكرت الكتب السماوية ذكرت بترتيب النزول، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾،

وقوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

٨/ إذا اجتمع الظلام والنور، قدم الظلام، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.

٩/ إذا تحدثت عن نفسك وآباءك، تقدم الآباء، قال ﷺ : ((أنا ابن الذبيحين))

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾.

١٠/ إذا اجتمع الليل والنهار، قدم الليل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾.

١٢/ اجتمع الموت والحياة، قدم الموت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾.

١٣/ إذا اجتمع القلة والكثرة، قدم الكثرة، قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

١٤/ إذا اجتمع السِّنَة والنوم، قدم السِّنَة؛ لأنها مقدمة النوم، قال تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾.

١٥/ إذا اجتمع العزة والحكمة، قدم العزة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

١٦/ إذا اجتمع الحر والعبد، قدم الحر، قال تعالى: ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ﴾.

١٧/ طعام الإنسان مقدم على طعام الإنسان، قال تعالى: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾.

هذه الأمور أصلية تفهم بالعقل لا حاجة فيها إلى بلاغة وإنما التقديم فيها بالطبيعة.

التقديم البلاغي

التقديم الذي اعتنى به البلاغيون يكون لغرضين أساسين هما:

١/ إما الأهمية.

٢/ إما الحصر والاختصاص.

ومعرفة هل التقديم للأهمية أو الحصر والاختصاص؟ يكون بسياق الكلام ومعناه.

المثال	التوضيح	التقديم للإفادة معنى
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.	قدم متعلق الظرف: عنده	الحصر والاختصاص
قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.	قدم متعلق المفعول به: إياك	الحصر والاختصاص
قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.	قدم متعلق الجار والمجرور: ولله	الحصر والاختصاص
وفي قراءة: ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾.	قدم متعلق المفعول: ثمود ، وعُلم أن الهداية وقعت لغيرهم أيضا	الأهمية
قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾.	قدم متعلق الظرف: عنده	الحصر والاختصاص
قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.	قدم متعلق الجار والمجرور: على الله، وعُلم أنهم يكذبون على الله وغيره.	الأهمية
	قدم متعلق الضمير: هم، وعُلم أنهم يعلمون وغيرهم يعلم ذلك أيضا.	

هل القرآن الكريم يراعي الفاصلة في كل موضع؟

١/ في جميع الآيات قدم موسى على هارون، إلا في آية واحدة قدم فيها هارون على موسى قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾، قال البعض: رعاية للفاصلة، وليس الأمر رعاية الفاصلة فقط، ولكن هناك معنى آخر مع الفاصلة، وهو: أنك إذا قرأت القصة إلى آخرها ستجد أن مناط الحديث كان التركيز فيه على هارون.

ولا تقل أن القرآن يراعي الفاصلة فحسب، وذلك للفرق بينه وبين الشعر، فالشاعر قد يأتي بالكلمة من أجل القافية، والذي يتكلم بالسجع يأتي بكلمة ليست هي التي تحقق المعنى كاملا ولكن يأتي بها لأنها تحقق له السجع، وليس في القرآن ضرورة ذلك، فالقرآن يراعي الفاصلة ولكن مع مراعاة المعنى، فهو معنى قبل أن يكون مبنى.

٢/ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾، قدم الآخرة على الأولى والأصل أن تقدم الأولى على الآخرة، وقالوا: فيها أيضا التقديم لرعاية الفاصلة، ولكن فيه تقديم لما هو بعيد عن الأذهان، والتقديم للتنبيه على أنها قريبة، ولأهميتها وخطورتها.

وأكبر دليل على أن القرآن لا يراعي الفاصلة فحسب، قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، ولو كان القرآن يراعي الفاصلة فحسب لقال: وأما بنعمة ربك فَخَبِّر، لأن سياق الآيات التي قبلها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾، والمعنى قريب جدًا ومع ذلك لم يقل: فخبر، فهذا يدل على أن هناك معنى في: فَحَدِّث، غير موجود في: فَخَبِّر، فلو قصد رعاية الفاصلة لأتى بـ: فَخبِّر.

٣/ قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ أن الأصل: قلاك، فحذف المفعول به، لرعاية الفاصلة، ولكن أن مع الفاصلة شيء يخدم المعنى، وهو: أن القلى معناه: البغض، فالله عز وجل يعلمنا الأدب مع رسول الله ﷺ، والتوديع يكون الأحبة، والقلى: بغض يكون بين الأعداء، وحذف المفعول تنزيها لرسول الله من هذا الفعل.

الحذف البلاغي

الحذف باب جم الفوائد، كثير المنافع، أجدك تنطق فيه، وأنت لم تنطق، وأبين فيه حين تسكت.

الحذف البلاغي أبلغ من الذكر، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، حذف المفعول به؛ قال بعض المفسرين وإن كانا محذوفًا فإن القصد هو القرآن؛ ولكن لو كان التخصيص مفهوما من سياق الكلام إلا أن معناه يبقى على اقرأ في كل مجالات الكون وكل ما ينفع البشرية، على هدي من الشريعة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ ، أي ترى أهوالا لا توصف، حذف هنا جواب الشرط كاملا؛ لأنه لو ذَكر شيئا لحصر الذهن فيما ذُكر فقط.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حذف المفعول، ولم يبين ماذا يعلمون؟ فالعلم ممدوح على كل الوجوه، سواء كان علما شرعيا أو دنيويا.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾، حذف المفعول به، حذف مفعول يدعوا حتى يتبين أن الدعوة لجميع البشرية.

الالتفات

الالتفات في اللغة: التحويل، يقول: التفت يمينا، أي: حولت وجهي إلى اليمين.

أما في اصطلاح البلاغيين: تحويل الكلام من صيغة إلى صيغة، ومن أسلوب إلى أسلوب، ومن طريقة إلى طريقة أخرى.

الالتفات يكون في الكلام بقصد استمالة السامعين، وجذب الانتباه، وعدم الملل من الكلام، فيلتفت المتكلم في كلامه حتى يحدث في كلامه تأثيرًا على المستمع؛ لأن الكلام إذا سار على درب واحد كل مملا، ولذلك تجد الخطاب ينتقل بك من أسلوب التكلم إلى صيغة الخطاب، ومن صيغة الخطاب، إلى صيغة الغائب، فيبدل في الكلام وينوع في الأسلوب حتى لا يكون مملا؛ لأن الكلام إذا كان على منهج واحد مَلَّهُ المستمع.

فالمتكلم البليغ هو الذي ينوع ويغير في محاوراته وفي طريقة كلامه، وبنائه بأسلوب جديد، والكلام إذا سار على نهج واحد كان فيه رتابة، والرتابة في الكلام تحدث فيه مللا.

الالتفات يكون في الكلام لغرض، كما ذَكر العلماء، وأول من تكلم في أسلوب الالتفات هو الزمخشري، وقال: هو تطرية لنشاط السامع، أي: إلقاء الطراوة عليه، وإحساسه بالأَرْيَحِيَّة حين استماعه لهذا الكلام،لتجديد الأسلوب، والرتابة تمله الأذن.

نحن عند ثلاث صيغ للكلام، وهي:

١/ صيغة "ضمير" المتكلم. "أنا"

٢/ صيغة "ضمير" المخاطب. "أنت"

٣/ صيغة "ضمير" الغائب. "هو"

الالتفات هو التفات الضمائر، أي: الانتقال من ضمير إلى ضمير.

القرآن الكريم مليء بالالتفات، ما خلت سورة من الالتفات، وأقصد به: انتقال من آية تحدثك بأسلوب الخطاب، فإذا بآية بعدها تنتقل بك من الخطاب الغيبة، فإذا بآية تعود إلى الخطاب مرة أخرى، ثم تنتقل إلى التكلم وهكذا، كل هذا لتجديد نشاط السامع، وهناك اعتبارات أخرى تفهم من سياق الكلام، وإليك بعض النماذج والأمثلة:

أمثلة على الالتفات من ضمير إلى ضمير:

الالتفات	المثال
انتقل من صيغة المتكلم إلى المخاطب، لما التفت إلى قومه محذرا ومخوفاً: قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.	قال تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.
انتقل من صيغة الغيبة إلى المخاطب، لما التفت إلى بيان أهمية العبادة والاستعانة وإعلاء مقامهما، وأنهما خاصان بالله، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.	قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.
انتقل من صيغة المخاطب إلى الغَيبة، ليعجب الناس التفت بقوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.	قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.
انتقل من صيغة المخاطب إلى المتكلم، بقوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ثم انتقل إلى الغيبة محذرًا من الفرقة، بقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾.	قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ۝٩٣﴾.

وقد يكون الالتفات من صيغة إلى صيغة، كأن يكون من صيغة الماضي إلى صيغة مضارع، أو من صيغة مضارع إلى صيغة أمر، وهكذا، ومن أمثلة ذلك:

الالتفات	المثال
ذكر تسيير الجبال بصيغة المضارع وهذا يفيد: أن هذا الحدث الضخم واقعا وحادثا يوم القيامة وأنت تشاهده. ثم انتقل إلى صيغة الماضي، وذكر الحشر بصيغة الماضي مع أنه لم يقع، وفي هذا دلالة على تحقق الوقوع.	قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.
انتقل من الفعل الماضي ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ إلى الفعل المضارع ﴿تَقْتُلُونَ﴾، أخبر عن اليهود فعبر عن الكذب بصيغة الماضي دلالة على أنها صفة متأصلة من صفاتهم، وعبر عن القتل بصيغة المضارع دلالة على أن القتل يتجدد ومستمر في كل زمان.	قال تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

وقد يكون الالتفات من صيغة اسمية إلى صيغة فعلية، أو من صيغة فعلية إلى صيغة اسمية، ومن أمثلة ذلك:

المثال	الالتفات
قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾.	انتقل من صيغة اسمية ﴿صَافَّاتٍ﴾ إلى صيغة فعلية ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ وعطف الفعل المضارع على الاسم لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السابح أن يبسط يديه، والقبض طارئ، فالطائر مثله فإنه لما يطير في السماء فإنه يحرك أجنحته، كأن الأصل عنده بسط الجناح والقبض متجدد وطارئ، فعبر بالفعل بعد الاسم لأن دلالة الاسم الثبوت، ودلالة الفعل التجدد والحدوث والاستمرار، فعبر عن كل شيء بما يناسبها من صيغة.

والصيغ تعرف من السياق بالممارسة.

هذا الباب أطلق عليه ابن جني أنه باب من أبواب شجاعة العربية، تشبيها بالشجاع الذي يكون في الميدان، فإنه يلتفت من جهة إلى جهة وهذا دليل على شجاعته وقدرته، الشجاع في الميدان لا يلزم مكانا واحدا وإنما ينتقل من مكان إلى آخر.

كما أن الشجاع لا يلزم مكانا واحدًا دلالة على قدرته القتالية فإنه ينتقل من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال، كذلك اللغة أيضا ما يسمى بالشجاعة، وهذا من خصائص ومميزات اللغة العربية.

الإيجاز والإطناب

أيهما أبلغ في الدلالة الإيجاز أم الإطناب؟

لا نستطيع أن نقدم الإيجاز على الإطناب، ولا الإطناب على الإيجاز، لكن كل في مقامه أبلغ من الآخر، فالإيجاز في موطنه أبلغ من الإطناب في هذا الموطن، فالحكم فيها هذا يرجع إلى المقام، فهناك مقام للإيجاز ومقام للإطناب، إن استخدمت الإيجاز في مقام الإطناب فقد أخطأت، وإن استخدمت الإطناب في مقام الإيجاز في فقد أخطأت أيضًا.

العرب بطبيعتها تميل إلى الإيجاز؛ لأنها أمة يعم فيها الأمية ولذلك تميل إلى الكلام القليل ليحفظ عنها، ولكن الإطناب أيضا كان موجودًا وكانوا يطيلون في الكلام، يقول الجاحظ في مدح العرب:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

يرمون بالخطب الطوال: أي إذا تكلموا استطاعوا أن يطيلوا في الحديث، وأحيانا يرمون بالكلام وحي الإشارة كالمواعظ القصيرة.

لا نستطيع أن نقدم الإيجاز ولا نستطيع أن نقول أن الإيجاز أبلغ من الإطناب، ولا الإطناب أبلغ من الإيجاز، ولكن كل بليغ في مكانه على حسب المقام الذي يقتضيه، فالأبلغ في مقام تقليل الكلام واختصاره إيجاز وفي مقام سعة الحديث إطناب.

الأصل في تأدية المعنى الإيجاز، ويكون الإطناب طارئًا.

الإيجاز والإطناب موجودان في القرآن الكريم.

أولا: الإيجاز.

تعريفه: هو تقليل اللفظ من غير إخلال بالمعنى.

الإخلال: تقليل اللفظ مع إخلال بالمعنى، ليس إيجازًا، بل هو عيب في الكلام.

الإيجاز على ضربين: ١/ إيجاز حذف. ٢/ إيجاز قِصَر.

أحدها: إيجاز حذف، ويتمثل في إسقاط كلمة أو كلمتين أو جملة أو أكثر من غير إخلال بالمعنى

لابد أن يكون الحذف غير مخلا للمعنى، وشرط الحذف في اللغة: لا يجوز الحذف إلا إذا قامت قرينة تدل على الحذف، أو دل السياق عليه أو فُهِمَ من الكلام.

أمثلة على إيجاز حذف:

الإيضاح	المثال
هنا في الآية محذوفات كثيرة، تتمثل في: فأرسلوه إليهم وقص عليه القصة.	قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾.
هنا ذكر الصفة وحذف الموصوف، أي كل سفينة سليمة خالية من العيوب، والحذف يفهم من قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.	قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.
أي: الروح إذا بلغت التراقي.	قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾.
أي إذا بلغت الروح الحلقوم.	قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾.
أي: أشربوا في قلوبهم حب العجل.	قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾.
أي: واسأل أهل القرية.	قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾.
حذف منه الفاعل، وأقيم المفعول مناب الفاعل.	قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾.
حذف الفاعل، وهو السائل، وأقيم المفعول مناب الفاعل.	قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾.

البلاغة تقتضي أن الكلمة إذا فُهِمَت فمن العبث أن تذكرها، فهذا إيجاز حذف لا يؤدي إلى إخلال. أما الحذف الذي يكون فيه إخلال، هو الذي لا تفهم فيه المعنى، واللغة فيها حذوفات كثيرة، ومن أساليب العرب في الكلام الحذف؛ والشرط أن لا يستغلق المعنى على الفهم.

والعربي فيه من الذكاء والفطنة ما يدرك به المحذوف، وضربوا على ذلك أمثلة من كلامهم ومن القرآن الكريم، لأن هناك محذوفات في القرآن الكريم لم تدل عليها قرينة سوى ذكاء العربي.

ومن أمثلة ذلك:

الإيضاح	المثال
قالوا: أن المحذوف هنا الشمس، وليس هناك قرينة تدل عليها، ولكن العربي يفهم ذلك من فحوى الكلام.	قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾.
لما ذكر أن هناك سرابيل تقي الحر، فُهم منه أن هناك سربيل تقي البرد، وهذا النوع يسمى اكتفاء؛ لأنه اكتفى بذكر الحر عن ذكر البرد، وسبب ذكره للحر أنه مناخ العربي في بيئته.	قال تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾.

ومن طريقة العرب في كلامها أنها تسقط من الكلام ثقة في إدراك السامع.

وقد يكون الإيجاز أبلغ من الذكر، مثل حذف جواب الشرط في القرآن الكريم.

١/ قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

٢/ قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

٣/ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾.

وإيجاز الحذف يتمثل تارة في حذف جواب الشرط، وتارة في حذف الصفة، وتارة في حذف الموصوف، وتارة يحذف المضاف، والعكس، وتارة تحذف كلمة، وتارة تحذف جملة، أو جمل، وهكذا.

الثاني: إيجاز قصر: بنية الكلام على الألفاظ القليلة مع كثرة المعاني من غير حذف أو إخلال.

أي: المعاني أكثر من الألفاظ. (الألفاظ قليلة والمعاني كثيرة).

وقد أوتي هذا الفضل نبينا ﷺ ، قال ﷺ: «وأوتيت جوامع الكلم».

أمثلة على إيجاز قِصَر:

المثال	الإيضاح
قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».	هذه قاعدة فقهية عظيمة، كلماتها قليلة، وإذا أردت أن تفسر معانيها، تجد أن حياتنا كلها قائمة عليها.
قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلم من لسانه ويده».	هذا الحديث معناه أكبر مما نتصور، ففيه منع لكل صور العداوة، وفيه معنى السلم والآمان.
قال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».	هذا الحديث أكبر من تحريم النبيذ المكسر، بل فيه معنى أن الاستهانة بالمعصية الصغيرة يوقع حتما فيما هو أعظم.
قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾.	يدخل في ذلك الصلاة والزكاة والإحسان إلى الناس، الإحسان إلى الجار، و كل ما فيه أمر معروف من الخصال الحميدة والأخلاق السامية.
قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.	أي: الكاذبون والمنافقون، وكل من فيه صفة الجهل.
قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.	أي: كل ما يجري من أقدار الله علينا.

القرآن كله إيجاز قِصَر، لأن معناه أكثر من لفظه.

إيجاز قصر أدَق من إيجاز الحذف، فإيجاز الحذف له قواعد معروفة يمكنك أن تكتفي بها، ولكن أشقها صناعة هو إيجاز قصر بأن تختار تراكيب وألفاظ تغني عن معاني كثيرة.

موازنة عقدها الإمام الرماني بين الإيجاز في القرآن وبين الإيجاز في كلام البشر، فوجد كلمة في كلام البشر من أعلى الكلام، ووجد في كلام الله عز وجل آية فيها نفس المعنى، ثم قارن بينهما:

ورد عن العرب: القتل أنفى للقتل.

وفي القرآن الكريم ما يوازي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، وفي موازنته هذه أخرج عشرة أسرار تمتاز بها الآية القرآنية على كلام العرب، مع أنها أجمع كلمة قالتها العرب.

ومعنى هذا: أن القاتل إذا علم أن مصيره القتل فلن يُقدم على القتل، فالقتل ينفي القتل.

قال تعالى: ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾.	قول العرب: القتل أنفى للقتل.
سياق الآية يخيل أن هناك لطف وجمال في معنى الحياة من إحياء الموات.	القتل يدل العدم، والإبداة، وليس في كلامهم ما يدل على الحياة.
لا تكرار فيه، وإيصال المعنى من غير تكرار أبلغ	فيه تكرار، والتكرار دليل الضعف.
القصاص حياة: كلمتان، وتأدية المعنى في كلمات قليلة أبلغ.	القتل أنفى للقتل: ثلاث كلمات.
الانتقال بين الحروف لا ثقل فيها، بل هي خفيفة النطق.	الانتقال بين الأحرف فيها ثقل.
القتل على وجه القصاص هو الذي يوقف القتل، والقصاص فيه معنى الإحياء.	ليس كل قتل ينفي القتل، بل قد يكون بالقتل إقدام على القتل.

ثانيا: الإطناب: هو زيادة الألفاظ لمعنى.

أمثلة على الإطناب:

١/ قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

الأصل أن يقول: عصا، ولكن المقام يقتضي الإطناب فأجاب عما لم يُسأل عنه؛ لأن الذي يتكلم معه عظيم، ويستفاد منه الإطناب العصا هذه معه من فترة، وحتى يستقر في ذهن القارئ أنها عصا، وفي الآية إطناب ثم إيجاز، فإنه لما أحس أنه تجاوز الحدود أوجز في العبارة.

التطويل: زيادة الألفاظ لغير معنى، وليس هذا إطنابًا، بل هو عيب وعي.

أمثلة على التطويل:

١/ ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

الصداع: لا يكون إلا في الرأس، فذكره للرأس حشو بلا فائدة.

٢/ ألا حبّذاً هندٌ أرضٌ بها هندُ و هِنْدٌ أتى مِنْ دُونها النّأْيُ والبُعْدُ

النأي والبعد معناهما واحد.

أمثلة على الإطناب .

المثال	موضع الإطناب	نوعه
قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾.	﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾	زيادة لمعنى التعظيم والجلال.
قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾.	﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	جملة اعتراضية، لزيادة إظهار عظمة الله جل وعلا.

كيف تُدرِك الإطناب؟

١/ أحيانا يُساق الكلام مجملا ثم يُفصَّل، فالتفصيل بعد الإجمال إطناب، والتوضيح بعد الإبهام إطناب.

أمثلة:

المثال	موضع الإطناب	الشرح
قال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾.	﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾	قال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ كلام مبهم يحتاج إلى توضيح، ثم وضحه بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾، فأبهم أولا ثم أوضح ما أبهمه.
قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾.	﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾	قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾، ثم بيّن ماهية سوء العذاب وكيفيته بقوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾.
قال ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان».	الثلاثة المذكورة في الحديث.	قوله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان»، تشوقت النفس إلى معرفة هذه الثلاثة، وهي مذكورة في الحديث.
قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله».	السبعة المذكورون في الحديث	قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله» تشوقت النفس وتطلعت إلى معرفة هذه السبعة، وهي مذكورة في الحديث، وتمكنت النفس واستشرقت بمعرفة المعدود.
قال تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾.	﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾	قال تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، تطلعت النفس إلى معرفة بم وسوس الشيطان إليه، تمكنت النفس بمعرفته ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾

وفائدة هذا الأسلوب، أنك إذا سُقت الكلام مبهما اشتاقت النفس وتطلعت إلى أن تعلم تفسير هذا المبهم، وإذا أتيت لها بتوضيح تمكن المعنى في النفس.

٢/ ذكر الخاص بعد العام.

أمثلة

المثال	موضع الإطناب	التوضيح
قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.	﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.	﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ زيادة أتت للتنبيه على فضيلة أو خصوصية هذه الصلاة.
قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾.	﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ هما من الملائكة وخصهما بعد العام لمزيد فضل لهما.

٣/ ذكر العام بعد الخاص.

أمثلة

المثال	موضع الإطناب	التوضيح
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.	﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾	تقديم الخاص هنا يدل عظمة وفضل سورة الفاتحة.
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾.	﴿وَنُسُكِى﴾	تقديم الخاص هنا يدل أن الصلاة أهم الأنساك.

٤/ الاحتراس: هو زيادة يُقصد بها دفع إيهام.

أمثلة:

المثال	موضع الإطناب	التوضيح
قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.	﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	لو سكت على ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لفُهم أن الذلة هي عبارة عن ضعف وانكسار، ولما ذكر ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دلّ على أن الذلة عن قوة.
قال تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾	﴿إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾	﴿إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ خصهم بالذكر؛ لأن من آبائه من ليس بمؤمن، فذكر منهم المؤمنون فقط ليدفع إيهام دخول غير المؤمنين منهم.

التوضيح	موضع الإطناب	المثال
﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ خصهم بالذكر؛ لأن من آبائه مَن ليس بمؤمن، فذكر المؤمنين ليخرج غير المؤمنين منهم.	﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾.	قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾.
قول الشاعر: "ظالمين" يدفع الوهم من الذهن أن الفرس كانت ضعيفة وبليدة، فقوله يدل أن الفرس كانت أصيلة.	ظالمين	صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل
قوله: "فسقى ديارك" يدل أنه دعا بمطر لا يكون فيه دمار.	غير مفسدها	فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

٥/ التكرار، وهو على ضربين:

١- تكرار ممدوح. ٢- تكرار مذموم.

أولا: التكرار الممدوح.

هو ما يكون لفائدة.

أمثلة

التوضيح	موضع الإطناب	المثال
انبهر العلماء بهذا التكرار في سورة الرحمن، وأن هذا في الحقيقة لو تدبرته لا تجده من باب التكرار؛ لأنه كلما أحدثَ نعمة، أحدث لها ما يوجب شُكرها، فكلما ذكر نعمة عقبها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ دلالة أن كل نعمة يلزم شكرا لذاتها بالتفصيل.	﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.	قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾.

التوضيح	موضع الإطناب	المثال
ذكر هذا بعد كل قصة قوم أهلكهم للاتعاظ، حتى لا تفعل ما فعلوه.	﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.	قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وأيضا بعد كل قصة قوم أهلكهم، في سورة القمر.
التكرار هنا للتهويل والتخويف والتحذير وإثارة الرهبة والخوف ويزلزل القلوب.	﴿مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾.	قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾.
	﴿مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾.	قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾.

ثانيا: التكرار المذموم (التطويل). وليس فيه بلاغة

هو ما يكون لغير فائدة.

التوضيح	موضع التطويل	المثال
"النأي والبعد" كلمتين على معنى واحد لا قيمة لهما.	النأي والبعد	ألاَّ حبذا هندٌ، وأرضٌ بها هند وهندٌ أتى من دونها النأي والبعد
"قوم جلوس حولهم ماء" لم يضف للمعنى السابق أي جديد، فالتكرار هنا لغير فائدة	قوم جلوس حولهم ماء	كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

الإنشاء

سبقت الإشارة إلى أن الأسلوب: إما خبري، وإما إنشائي.

والإنشاء إما طلبي، وإما غير طلبي.

أما الإنشاء الذي هو غير طلبي: إنما هي أشياء معناها معنى الإنشاء، وليس فيها طلب.

أمثلة على إنشاء غير طلبي:

المثال	نوع الإنشاء
ما أجمل السماء!	إنشاء غير طلبي: التعجب.
والله لتُصلَيَّن.	إنشاء غير طلبي: ألفاظ القَسَم.
بعتك هذا الكتاب.	إنشاء غير طلبي: ألفاظ العقود.
	إنشاء غير طلبي: المدح.

أما الإنشاء الطلبي فإنه ينقسم إلى خمسة أقسام: الأمر، والنهي، والنداء، والتمني، والاستفهام.

وهذه الأساليب تترتب عليها معاني حقيقية ومعاني مجازية، وبالتالي نحن نحتاج إلى فهم في المعني المجازية.

(١) الأمر

الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

صيغ الأمر ثلاثة، وهي:

١/ فعل الأمر، مثل: اكتب الدرس، قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٢/ فعل المضارع المقترن بلام الأمر، مثل: قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

٣/ المصدر الذي ينوب عن فعل الأمر، مثل: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾.

ليس كل أمر معناه على الوجوب، قد يفهم منه معنى آخر.

أمثلة على أمر لا يفيد الوجوب:

المثال	إفادة الأمر
رب اغفر لي	خرج من معنى الطلب إلى معنى الدعاء.
تقول لزميلك: ناولني القلم.	خرج من معنى الوجوب إلى معنى التماس.
قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.	خرج إلى معنى إظهار العجز.
قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾.	خرج إلى معنى التهديد والوعيد.
قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.	خرج إلى معنى التهديد والوعيد، وليس التخيير.
اقرأ لابن باز أو لابن عثيمين.	خرج إلى معنى التخيير.
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت	خرج إلى معنى التخيير.
قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾.	خرج إلى معنى الإباحة.
قال ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزورها، فإنها تذكركم بالآخرة».	خرج إلى معنى الندب والاستحباب.
قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾.	خرج إلى معنى الإباحة.

(٢) النهي

صيغة النهي:

النهي: هو طلب الكف عن الفعل.

للنهي صيغة واحدة، وهي:

فعل المضارع التي دخلت عليه لا الناهية، مثل: لا تأكل، لا تشرب.

(٣) التمني

التمني على ضربين:

إما أن يكون في الأمر المستحيل، وإما أن يكون في الأمر البعيد المنال.

أداة التمني الأصلية: ليت.

- ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بم فعل المشيب
- ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كَلِمي

وهذا الشيء مستحيل.

قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾.

ليتني أكون عالمًا.

وهذا الشيء بعيد المنال.

أدوات التمني المجازية:

أ- هل، مثل: قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾، وأصل وضعه للاستفهام.

ب- لو، مثل: قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأصل وضعه للشرط.

ج- لعل، مثل: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، وأصل وضعه للترجي.

(٤) الاستفهام

هل أدوات الاستفهام حروف أو أسماء؟

منها حروف ومنها أسماء.

أما الحروف فهي: الهمزة، هل.

أما بقية أدوات الاستفهام فهي أسماء: مَنْ، كم، أيان، أين....

أمثلة على حروف الاستفهام:

١/ قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

٢/ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

٣/ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

٤/ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾.

أمثلة على بقية أدوات الاستفهام:

١/ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾.

٢/ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾.

٣/ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٤/ قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

هل يُستفهم عن كل شيء بأداة واحدة؟

لا؛ لأن كل أداة من الأدوات لها معنى.

أخطر الأدوات: الهمزة وهل.

الهمزة: يُسأل عنها في التصور والتصديق.

هل: يُسأل عنها في التصديق فقط.

معنى التصور: ما أجيب عنه بتعيين أحد المفردين.

مثل: أنحوا ذاكرت أم بلاغة؟ فتقول: بلاغة.   أبكرًا تزوجت أم ثيبًا؟

قاعدة: إذا وجدت أَم مع همزة، فاعلم أن الهمزة هنا معناها التصور.

معنى التصديق: ما أجيب عنه بلا أو نعم.

مثل: هل حضرت اليوم؟   هل ذاكرت دروسك؟   هل استعددت للامتحان؟

أيصدأ الذهب؟   أتزوجت؟   أذهبت إلى الصين؟

إن وجدت أم مع هل، فتقدر هل بمعنى بل، فهل هنا للإضراب وليس للاستفهام.

هل ركبت قطارًا أم طائرة.   هل تزوجت سعادًا أم حسنات.

أما بقية أدوات الاستفهام: يُسأَل عنها في التصور فقط.

قاعدة: إذا أردت أن تستفهم عن شيء فتوقعه عقب أداة الاستفهام مباشرة.

لا يصح أن تقول: أذاكرت فقها أم نحوا؟ / إنما الصواب أن تقول: أفقها ذاكرت أم نحوا؟

مثل: قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؛ لأنهم يسألون عن الفاعل، ولذلك قدموه.

لا يصح أن تقول: أبنيت هذه الجامعة؟/ إنما الصواب أن تقول: أأنت بنيت هذه الجامعة؟

أراكبًا جئت أم ماشيا؟

خروج الاستفهام من معناه الحقيقي وهو طلب الفهم إلى معنى آخر مجازي:

قال تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ الاستفهام هنا للاستبطاء.

قولك عند انتظار من تأخر عن الموعد المحدد: متى يأتي؟ الاستفهام هنا للاستبطاء.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ للاستفهام هنا للتشويق.

(٥) النداء

أدوات النداء: الهمزة، يا، وا.

الأمثلة:

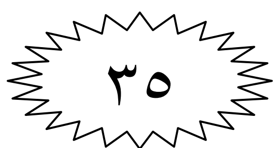
الأداة	التوضيح	المثال
وا	يستخدم للتحسر والندبة	وامعتصماه!
		واأسفاه
يا	يستخدم للمنادى للبعيد.	يا زيد
أ	يستخدم للمنادى للقريب.	أمحمد

قد ينزل القريب منزلة البعيد، وقد ينزل البعيد منزلة القريب.

مثل: تقول: يا الله، مع أن الرب جل وعلا أقرب إليك من حبل الوريد؛ ولكن هذا لبعد المنزلة، فأنت تعظمه في نفسك.

تكتب لزوجتك وأنت بعيد عنها: أحبيبتي، فهي وإن كانت بعيدة إلا إنها قريبة من قلبك.

تم ولله الحمد



شفى الطبيب المريض

أسندت الشفاء إلى الطبيب والطبيب لا يُشفي، والحقيقة: شفى الله المريض، والدواء سبب، فصح الإسناد إليه.

سال الوادي: أسندت السيلان إلى الوادي، والوادي لا يسيل، وإنما هو مكان السيل، والحقيقة: سال الماء في الوادي.

﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، أسند الجريان إلى النهر، والنهر لا يجري وإنما النهر مكان جري الماء.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾، أسند الأمن إلى الحرم، والحرم مكان، والأمن يكون للناس.

قال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ والعيشة لا ترضى لأنها زمن، وإنما الذي يرضى هو الإنسان.

قال تعالى عن فرعون: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ فأسند الفعل إلى فرعون، وفرعون لم يباشر هذا، وإنما أمر به الخدم، فصح الإسناد إليه لأنه لو لم يأمر لما وقع هذا.

يقولون في وصف إنسان طائع: فلان ليله قائم ونهاره صائم، فأسند القيام إلى الليل، والصيام إلى النهار، مباشرة فعل القيام والصوم ليس من الليل ولا من النهار، وإنما هو فعل الإنسان، وصح الإسناد إلى الليل؛ لأنه زمن القيام فيه، وصح إسناد الصوم إلى النهار؛ لأنه زمن الصوم فيه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾، والوعد لا يكون مأتيا وإنما هو آت.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾، وذلك اليوم ليس مجموعًا، وإنما يُجمع الناس له.

قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ واليوم لا يكون عاصفاً، والعواصف من عند الله تأتي طارئة ثم تزول، وصح الإسناد لأن العواصف تجري فيها.

قال تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: واليوم لا يُشَيِّب، وصح الإسناد لأن الشيب لا يأتي إلا بعد مرور زمن.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ والآيات لا تُزيد ولا تُنقص الإيمان، ولكنها سبب في زيادة الإيمان.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ لا أحد يبيع الضلالة والهدى، والإسناد باعتبار الآخرة.

قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾، التجارة لا تربح وإنما الربح للتاجر.

بنى الملك السعودية، والملك لم يباشر بناءها وإنما أمر بالبناء، وصح إسناد البناء لأنه كان سببًا.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، الجدار ليس لها إرادة، وإنما صح إسناد الإرادة إلى الجدار لبيان شدة ميله، وأنه يمكن سقوطه في أي وقت.

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، لا يمكن سؤال القرية، وإنما قالوا ذلك مبالغة لإظهار صدقهم وأنهم غير كاذبين.

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي، وهو يقصد المطعوم المكسو.

تعريف علم المعاني: علم يعرف به "أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال".

قد يكون الكلام صحيحًا من ناحية النحو، ولكن قد يرد الإشكال من ناحية عدم مطابقته لمقتضى الحال، وبالتالي يخرج عن دائرة البلاغة، فعمل البلاغة فوق وأعلى درجة من عمل النحو.

فلابد من وضع كل شيء في موضعه، ولو تأملنا إعجاز القرآن وجدنا أن كل شيء وضع في موضعه، فالموضع الذي فيه توكيد لا يمكننا أن نزيل منه ذلك، وليس هناك شيء في القرآن وضع اعتباطًا ومن دون فائدة، بل كل كلمة جاءت في مقامها الصحيح.

إياك أن تفهم أن الآيات مكررة من دون فائدة، ولو تأملت الآيات التي ورد فيها توكيد والتي لم يرد فيها توكيد وجدت أن السياق في كل منهما مختلف عن الآخر.

فما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾؟

معنى واحد، ولكن تَغَيُّر السياق يدل على اختلاف المقام، وهذه هي البلاغة أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

بدراستك لعلم المعاني تحكم على أن الكلام مطابق لمقتضى الحال أو لا، وبالتالي بعد دراستك لعلم المعاني تستطيع أن تتذوق معاني وأسرار القرآن الكريم.

والمبدع البلاغي يراعي حال المخاطب، وحال المقام، وفي بعض الأحوال يراعي المتكلم حال نفسه، وبالتالي تجد أن الكتابة في غاية السعادة والسرور تختلف عن الكتابة في حال عادي.

وعند القراءة لأي كتاب لابد أن يكون القارئ منتبها، لأنه يستطيع أن يتعرف على خلفيات الكاتب من كتابته ومنهجه وقصده، فهناك من يقصد الأغراض الطيبة، وهناك من يقصد الأغراض الدنيئة، وهناك من يقصد الإفساد في المجتمع.

ويراعي البلاغي حال المقام فقد يكون المقام مقام حزن أو فرح أو مقام سرور أو سعادة أو تهنئة أو عزاء، ولو سوى بين مقام التهنئة والعزاء ولو قال في مقام التهنئة: كل نفس ذائقة الموت، والبقاء لله، ففيها مخالفة لمقتضى الحال.

فبدراستك لعلم المعاني تستطيع أن تتقن أمرين:

الأمر الأول: يعلمك كيف تضع أنت المتكلم كل كلمة في موضعها مراعيا للمقامات، وتكون بليغًا.

الأمر الثاني: يعلمك كيف تتذوق الكلام وتفاضل بين جيده ورديئه، فأنت إذا قرأت كلاما كيف تحكم عليه أنه كان مطابقًا لمقتضى الحال أو غير مطابق، فإن كان مطابقًا حكمنا عليه بأنه بليغ، وإن لم يطابق حكمنا عليه أنه غير بليغ.

كيف تحكم على كلام على مسيلمة أنه غير بليغ؟

بالأخطاء التي وردت في كلامه من عدم مطابقة كلامه لمقتضى الحال، وبالتالي تبيَّن أنه كذاب.

وإذا تأملت القرآن لوجدت أنه لا يمكن أن يكون بشر، لتناسقه في معانيه ومطابقته لمقتضى الحال.

نبدأ الآن في دراسة علم المعاني، إذا أردت دراسة علم المعاني، فلابد أن تدرس أجزاء الكلام.

فالكلام ينقسم إلى قسمين: خبر ، إنشاء.

فكل كلام سواء كلام بشر من نثر أو شعر أو قرآن فإنه يعود على هذين القسمين.

الفرق بين الخبر والإنشاء:

لكل منهما أحكام ومقاصد

- - - -

- أَجِدُك تضرب والدك، فأقول لك: إنَّه والدك، أو: والله إنه والدك، أو:.

مع أنك لا تنكر أنه والدك، واستخدامي لهذا الأسلوب لما رأيت من إهانتك لوالدك، وفعلك معه ما لا ينبغي أن يُفعل، كأني أقول له: إنك إن كنت تعتقد أنه والدك ما كان ينبغي لك أن تفعل معه ذلك.

فهنا أنزلت غير المنكر منزلة المنكر.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾، أُكِّد الموت بإن واللام، مع أن حقيقة الموت لا ينكرها أحد، مع أن الشك عند المنكرين في البعث، فهو ما يحتاج إلى توكيد بخلاف الموت، ولكن لو تأملنا وجدنا أن القرآن خالف هذا وأكد الموت من أجل غفلتهم عنه، فهذا خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

مثال آخر: يقول المعلم لطلابه الجامعيين: إنَّ الامتحان لجدٌّ، فالحقيقة هم عالمون أنه جد، والتأكيد لبيان الأهمية.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾، فالتوكيد لبيان أهمية الأمر وانصراف الناس عنه.

وبإمكانك أن تنزل خالي الذهن منزلة المتردد المنكر

قال الشاعر:

جاء شقيق عارضًا رمحه إنَّ بني عمك فيهم رماح

جاء مستهينا بالقتال، وهو يعرف قوة بنو عمه، ومع ذلك لم يستعد لقتالهم، ولذلك نزل (غير المنكر) خالي الذهن منزلة المتردد (المنكر).

وبإمكانك أن تنزل المنكر منزلة غير المنكر، تقول لمن ينكر ضرر الجهل: الجهل ضار، ومن يُنكر الإسلام تقول له: الإسلام حق، والمعنى: أنك لو تأملت لوجدت أن ما قلته لك هو الحق.

قال تعالى في سياق من يُنكر وحدانية الله: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، وهذا ورد في سياق الشرك كان ينبغي أن يؤكد بمؤكد، ولكن المعنى هنا: أنك لو نظرت نظرة عاقلة لعلمت أن الإله لا يمكن أن يكون أكثر من واحد.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، لم يؤكد مع أن كم من البشر ينكر القرآن الكريم، والمعنى: أن هؤلاء لو تأملوا فيه أدنى تأمل لتبين لهم أنه من عند الله وليس هو كلام بشر.

هناك آيات في القرآن أُكِّدت نظرًا لأهمية الخبر وبعث الطمأنينة في النفس، قال تعالى:

﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾، أكد ذلك مع أن رسول الله ﷺ لا ينكر أنه رسول، وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾، فنزل خالي الذهن منزلة المتردد، وقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، فنزل خالي الذهن منزلة المتردد، للتوكيد، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لبيان خطورة الموقف، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، توكيد هذا المعنى في النفس، وتعظيم معنى التقوى في القلب، إن العلم نور، لأهميته، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، هل يعقل أن بعثته انحصرت في إتمام مكارم الأخلاق فقط، ولكن لمعنى أن الخلق الحسن يمنعك من ارتكاب المعاصي، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾،

إذا تأملت القرآن وجدت أن الكلام بعد الأمر والنهي يأتي مؤكدًا، لأن النفس تتطلع لماذا يطلب مني هذا.

قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

